

التحرير والتنوير

ووقع في خلال هذا الجواب تفنن في تخيل التهويل لهذا العذاب الموعود بقوله (إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا) تخيلا يناسب تحقق وقوعه فإن هاذين الوقتين لا يخلو حلول الحوادث عن أحدهما على أنه ترديد لمعنى العذاب العاجل تعجيلا قريبا أو أقل قريبا أي أتاكم في ليل هذا اليوم الذي سألتموه أو في صبيحته على أن في ذكر هذين الوقتين تخيلا ما لصورة وقوع العذاب استحضارا له لديهم على وجه يحصل به تذكيرهم انتهازا لفرصة الموعظة كالتذكير به في قوله (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) . والبيات : اسم مصدر التبييت ليلا كالسلام للتسليم . وذلك مباغته . وانتصب (بياتا) على الظرفية بتقدير مضاف أي وقت بيات .

وجواب شرط (إن أتاكم عذابه) محذوف دل عليه قوله (ماذا يستعجل منه المجرمون) الذي هو ساد مسد مفعولي (أرأيتم) إذ علقه عن العمل الاستفهام ب (ماذا) . إلى به مشار إشارة أصله . (ذا) و الاستفهامية (ما) هما كلمتان (ماذا) و A E مأخوذ من الكلام الواقع بعده . واستعمل (ذا) مع (ما) الاستفهامية في معنى الذي لأنهم يراعون لفظ الذي محذوفا . وقد يظهر كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) . وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار عليهم وفي التعجب من تعجلهم العذاب بنية أنهم يؤمنون به عند نزوله .

و (من) للتبعيض . والمعنى ما الذي يستعجله المجرمون من العذاب أي لا شيء من العذاب بصالح لاستعجالهم إياه لأن كل شيء منه مهلك حائل بينهم وبين التمكن من الإيمان وقت حلوله .

وفائدة الإشارة إليه تهويله أو تعظيمه أو التعجب منه كقوله تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلا) فالمعنى ما هذا العذاب العظيم في حال كونه يستعجله المجرمون فجملة (يستعجل منه) في موضع الحال من اسم الإشارة أي أن مثله لا يستعجل بل شأنه أن يستأخر . و (من) بيانية والمعنى معها على معنى ما يسمى في فن البديع بالتجرد . واعلم أن النحاة يذكرون استعمال (ماذا) بمعنى (ما الذي) وإنما يعنون بذلك بعض مواضع استعماله وليس استعمالا مطردا . وقد حقق ابن مالك في الخلاصة إذ زاد قيادا في هذا الاستعمال فقال : .

ومثل ما ذا بعد ما استفهام ... أو من إذا لم تلغ في الكلام يريد إذا لم يكن مزيدا . وإنما عبر بالإلغاء فرارا من إيراد أن الأسماء لا تزداد . والحق أن المراد بالزيادة أن اسم

الإشارة غير مفيد معناه الموضوع له ولا هو بمفيد تأسيس معنى في الكلام ولكنه للتقوية والتأكيد الحاصل من الإشارة إلى ما يتضمنه الكلام وقد أشار إلى استعماله صاحب معنى اللبيب في فصل عقده ل (ماذا) وأكثر من المعاني ولم يحرر انتساب بعضها من بعض . وانظر ما تقدم عند قوله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) المتقدم آنفا وقوله تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلا) في سورة البقرة .

والمجرمون : أصحاب الجرم وهو جرم الشرك . والمراد بهم الذين (يقولون متى هذا الوعد) وهم مشركو مكة فوق الإظهار في مقام الإضمار عوض أن يقال ماذا يستعجلون منه لقصم التسجيل عليهم بالإجرام وللتنبيه على خطئهم في استعجال الوعيد لأنه يأتي عليهم بالإهلاك فيصيرون إلى الآخرة حيث يفضون إلى العذاب الخالد فشأنهم أن يستأخروا الوعد لا أن يستعجلوه فدل ذلك على أن المعنى لا يستعجلون منه إلا شرا .

وعطفت جملة (أثم إذا ما وقع) بحرف المهلة للدلالة على التراخي الرتبي كما هو شأن (ثم) في عطفها الجمل لأن إيمانهم بالعذاب الذي كانوا ينكرون وقوعه حين وقوعه بهم أغرب وأهم من استعجالهم به . وهمزة الاستفهام مقدمة من تأخير كما هو استعمالها مع حروف العطف المفيدة للتشريك . والتقدير : ثم أ إذا ما وقع وليس المراد الاستفهام عن المهلة . والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار بمعنى التغليب وإفساد رأيهم فإنهم وعدوا بالإيمان عند نزول العذاب استهزاء منهم فوق الجواب بمجازاة ظاهر حالهم وبيان أخطائهم أي أتؤمنون بالوعد عند وقوعه على طريقة الأسلوب الحكيم كقوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)